

# من صدام الحضارات إلى تدمير الحضارات تحولات الخطاب الإمبريالي في عهد دونالد ترامب

بقلم

مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية



لقد أصبحت نظرية «صدام الحضارات» إطارًا تفسيريًا تستند إليه بعض دوائر القرار في السياسات الأمريكية الإمبريالية المعاصرة، إذ ينطلق هنتنغتون من فرضية أن الثقافة هي المحدد الأساسي للصراع العالمي، متجاهلاً إلى حد كبير البنى الاقتصادية والسياسية التي تشكل العلاقات بين الدول. لكن ما يبدو «وصفًا علميًا» للواقع يتحول في السياق الاجتماعي والثقافي والسياسي إلى أداة لإعادة إنتاج صورة ثنائية للعالم: «غرب» مهدد و«آخر حضاري» يُقدّم بوصفه مصدر خطر دائم.

هذا التحول يجعل من النظرية إطارًا أيديولوجيًا أكثر منها تفسيرًا علميًا محايدًا، خاصة حين يتم توظيفها في مختلف الخطابات السياسية لتبرير الحروب أو العقوبات أو التدخلات العسكرية. وتم توظيفها بوصفها أداة أيديولوجية ودعائية تهدف إلى إعادة إنتاج صورة نمطية عن العالم تقوم على التقسيم الثقافي الحاد، وإقناع الشعوب بوجود صراع حضاري حتمي بين «الغرب» وغيره من الكيانات الحضارية.

وفي هذا السياق، استُخدمت هذه النظرية ليس فقط كأداة تحليلية، بل كوسيلة لتبرير السياسات العدوانية وإضفاء شرعية رمزية عليها، عبر تحويل الصراعات السياسية والاقتصادية إلى صراعات ثقافية وحضارية. وقد ظهر هذا التوجه في بعض الخطابات السياسية المعاصرة، بما في ذلك تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، حين أشار في سياق تهديداته المرتبطة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى إمكانية «تدمير الحضارة الإيرانية». إن مثل هذا الخطاب يتجاوز منطق السياسة التقليدية، ليقترّب من منطق الإلغاء الرمزي للحضارات، بوصفها كيانات تاريخية وثقافية ممتدة عبر الزمن.

غير أن هذا التصور يغفل حقيقة أساسية في علم الاجتماع التاريخي، وهي أن الحضارات لا تُختزل في نتائج الحروب أو في مصير الدول السياسية القائمة في لحظة معينة. فالحضارة، بوصفها بنية ثقافية-تاريخية ممتدة، تتجاوز حدود الزمن والجغرافيا، ولا يمكن إلغاؤها بمجرد هزيمة عسكرية أو تغيير سياسي.

كما تُعدّ الحضارة الفارسية من الحضارات العريقة الممتدة عبر آلاف السنين، إذ تضرب جذورها عميقًا في التاريخ الإنساني، فهي تُصنّف ضمن أقدم الحضارات المستمرة، إذ تعود بدايات الاستيطان الحضري فيها إلى الألفية الخامسة قبل الميلاد. وقد تأسست أولى إمبراطورياتها الكبرى، الإمبراطورية الأخمينية، عام 550 قبل الميلاد على يد قورش الأكبر، لتتوالى بعدها الدول الفارسية حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي. وبذلك يمتد تاريخها كقوة إقليمية فاعلة لأكثر من اثني عشر قرنًا قبل الإسلام.

وتندرج الحضارة الفارسية ضمن حضارات العالم القديم ذات العمق التاريخي، إلى جانب حضارة وادي الرافدين والحضارة المصرية وغيرها. فالحضارة، بطبيعتها، تمثل الكيان الثقافي الأوسع، وتشكل الإطار الناظم لاندماج الجماعات العرقية والقومية والإثنية، ووفقًا لرؤية أرنولد توينبي، تُعد الحضارة وحدة كلية شاملة، تمثل أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية التي تميز الإنسان. وهي تتحدد بمجموعة من العناصر الموضوعية العامة، مثل اللغة، والتاريخ، والدين، والعادات، والمؤسسات، فضلًا عن الوعي الذاتي الجماعي.

ومن هذا المنظور، تعبّر الحضارة عن نحن الكبرى التي يشعر الإنسان في إطارها بالانتماء الثقافي، في مقابل الآخر خارج هذا الإطار، وتُعد الحضارة الفارسية نموذجًا واضحًا لهذا الامتداد التاريخي المتماسك، إذ استطاعت، عبر قرون طويلة، استيعاب موجات متتالية من الغزاة والأنظمة السياسية المختلفة دون أن تفقد بنيتها الثقافية العميقة. بل إن العديد من هذه القوى اندمجت تدريجيًا في نسيجها الحضاري، وتكيّفت مع منظومتها الثقافية والقيمية، مما يعكس قدرتها العالية على الاستمرارية والتجدد. وبناءً عليه، فإن التهديد بتدمير حضارة أو إزالتها من الوجود لا يمكن فهمه إلا بعدة خطابًا سياسيًا يتجاوز الواقع التاريخي، ويقترب من منطلق «الإبادة الثقافية» (Cultural Genocide)، وهو مفهوم يشير إلى استهداف المكونات الرمزية والثقافية والهوية للشعوب بهدف تفكيكها وإعادة تشكيلها قسرًا. كما أن التهديد بالاستيلاء على الموارد والثروات الوطنية لدولة ذات سيادة لا يُعدّ مجرد أداة للضغط السياسي، بل يمكن فهمه ضمن إطار أوسع بوصفه شكلاً من أشكال الإضرار الممنهج بالبنية الاقتصادية والاجتماعية لتلك الدول. ويهدف هذا السلوك إلى إحداث ما يمكن تسميته بـ«الإبادة الاقتصادية» لموارد الشعوب المستهدفة، وفق منطلق الإمبريالية الأمريكية، الأمر الذي يهدد استقرار النظام الدولي، ويُسهم في تفكيك بنيته، ويقوّض استقلال الدول، ويُضعف قدرتها على الاستمرار وإعادة إنتاج ذاتها ككيانات مستقلة.

وعليه، فإن هذا النمط من الخطاب الذي قدمه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في سياق التصعيد ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بدأ أقرب إلى استحضار مباشر لأفكار صموئيل هنتغتون حول «صدام الحضارات». إذ لوّح، في تهديد واضح، بأن «حضارة كاملة قد تختفي في ليلة واحدة ولن تعود أبدًا» إذا لم تستجب طهران لمطالبه. ويُظهر هذا الخطاب بوضوح انتقالاً من لغة الردع العسكري التقليدي إلى خطاب يقوم على تصوير الصراع بوصفه مواجهة حضارية، بما يحمله ذلك من أبعاد أيديولوجية تتجاوز الإطار السياسي المباشر. " يعكس في جوهره حالة من الارتباك في السياسة الأمريكية المعاصرة، ويكشف عن تذبذب في رؤية النظام الدولي، وتراجع في القدرة على ضبط العلاقات بين الدول ضمن إطار قانوني- أخلاقي واضح، ما يؤدي إلى إعادة إنتاج منطلق القوة بدل منطلق القانون في العلاقات الدولية.

## الخاتمة

يمكن القول إن نظرية «صدام الحضارات»، رغم قيمتها الوصفية الجزئية، تتحول عند توظيفها سياسياً إلى أداة إخفاء للبنية الحقيقية للصراعات الدولية. فهي تستبدل التحليل المادي- التاريخي للنظام العالمي بسردية ثقافية تبسيطية، تسهم في إعادة إنتاج منطق الهيمنة الإمبريالية. وبهذا المعنى، فإن نقد هذه النظرية لا يعني فقط تفكيك فرضياتها الأكاديمية، بل أيضاً الكشف عن دورها في تشكيل وعي سياسي عالمي يعيد إنتاج الصراع لا بوصفه نتيجة لتناقضات اقتصادية وسياسية، بل كقدر ثقافي محتوم بين «حضارات» متخيلة. ومن هذا المنظور، فإن مثل هذه الخطابات تتعارض مع الأعراف والقوانين الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول في حالتها السلم والنزاع، خصوصاً تلك المتعلقة باحترام السيادة الوطنية، وحماية الشعوب من سياسات الإبادة المادية أو الرمزية.

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٢، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

## للتواصل

00964- 7710122232



Alfaiidcenter2011@gmail.com



www.al-faidh.com



العراق - بغداد - الكرادة

